ALTRALANG Journal
e-ISSN: 2710-8619 p-ISSN: 2710-7922
Volume 7 Issue 2 / December 2025 pp. 586-594
DOI: https://doi.org/10.52919/altralang.v7i2.623

حضور المستنسخ في المنجز السردي الشعبي

شعيب زياد Chouaib ZIAD[1*]
University of Oum El Bouaghi Larbi Ben M'hidi, Algeria
chouaib.ziad@univ-oeb.dz
جلال خشاب Djalel KHACHEB[2]
University of Souk Ahras Mohamed Chérif Messaadia, Algeria
d.khacheb@univ-soukahras.dz

استلم: 2024/01/18، **مقبول:** 2025/11/21، **نشر:** 2025/12/10

The Presence of "The Cliché" In The Oral Narrative

ABSTRACT: *The Presence of "the cliché" in the oral narrative performance, a pragmatic approach Discourses almost share a stylistic characteristic known as the cliché, or what is called in our heritage "stereotype", and it is a linguistic component that is constantly recurring in the speaking pattern, which has made scholars pay attention to its nature and the functions it performs, bypassing the idea of superficial repetition. In this regard, my intervention entitled "The Presence of The Cliché in the Oral Narrative Performance, a Pragmatic Approach", which is an attempt to approach 'the reproduced' conceptually and the interest it has witnessed in Western and Arabic studies, addresses examples of it within the oral narrative performance, based on a problem that examines the reality of this sign or repeated signs, as well as the verbal dimensions and intellectual and philosophical visions that open up to it.*

KEYWORDS: Cliché; Sign; Pragmatic Cliché; Verbal Acts; The Oral Narrative.

الملخص: تكاد تَشترِكُ الخطابات في خاصِّيَّة أُسلوبيَّة تُعْرَفُ بـ: "المُستنسَخ *"Le cliché"* " أو ما يُسمَّى في تراثنا بالمسكوكات اللُّغويَّة وهو مكوّن لساني التَّردُّد على ألسنة المُتكلِّمِين، ممَّا حمل الدَّارسِين على الاهتمام بِبِنْيتِه وما يؤدِّيه مِنْ وظائف، مُتجاوِزين فكرة التّكرار السَّطحيَّة.وفي هذا الفضاء تَرِدُ مداخلتي الموسومة بـ: " حضور المُسْتَنْسَخ في المُنْجَز السَّرْدِي الشَّفوِي: مُقارَبَة تداوليَّة"، وهي مُحاوَلة ترمي إلى مُقارَبَة المُستنسَخ مِنْ حيثُ المفهوم وما شهده من اِهتمام في الدِّراسات الغربيَّة والعربيَّة، ثُمَّ مُعالَجَة نماذِج منه ضمن المُنْجَز السَّردي الشَّفوي، اِنطلاقًا مِنْ إشكاليَّة تبحث في حقيقة هذه العلامة أو العلامات المُتكرِّرة وما تَنفتِح عليه مِنْ أبعاد كلاميَّة ورُؤى فكريَّة وفلسفيَّة.

الكلمات المفتاحية: المُسْتَنْسَخ؛ العلامة؛ تداوليَّة المُسْتَنْسَخ؛ الأفعال الكلاميَّة؛المُنْجَز السَّرْدِي الشَّفوِي.

*المؤلف المراسل

ALTRALANG Journal / © 2025 The Authors. Published by the University of Oran 2 Mohamed Ben Ahmed, Algeria.
This is an open access article under the CC BY license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

مقدمة

تتحكم الممارسة الكلامية إلى مجموعة من العناصر الصوتية والأدائية المشكلة للسلسلة التواصلية، حيث يأتي هذا الإجراء إحقاقا لغايات تعبيرية أو لدواع إقناعية. ولأجل تحقيق لك يعمد المتكلم إلى توظيف ما يراه مناسبا في شفويته.

ولعلّ ما يستقطب اهتمام الباحث في هذا الشأن، هو تردد ملفوظات أو متوليات لفظية عبر مسارات التخاطب، تعرف بالتكرار في المفهوم العام، غير أن الخوض في خصائص ومكونات الخطاب الشفوي، وعلى وجه الخصوص في مسألة المستنسخ Le Cliché، سنكشف عن قضايا ذات الصلة بحقيقة الشفوية وإلى ما تحتكم إليه من استراتيجية تواصلية تعمل على تفعيل ما تراه ممكنا في الإبانة والإيضاح، فكان خطاب المستنسخات من أبرز العلامات الشائعة في الفضاء التخاطبي الشفوي، وهو أمر وجب طرقه وبشكل يتجاوز الرؤية السطحية لفعل التكرار وما يقوم عليه من معرفة كلامية وغايات تداولية.

وقد عرف المستنسخ في البحث التراثي " بالمسكوكة اللغوية" ، لكنه ظل حبيس الدراسات البلاغية على وجه الخصوص ، دون تجاوز الصورة وبعيدا عن السياق العام للنص ، لكن الدراسات الحديثة أولت للمستنسخ "le cliché" أولوية بالنظر إلى ما يتمتع به هذا النوع من الخطاب من اختزال لمنظومة متعددة المشارب ، فضلا عن دوره التداولي وتفعيله للدائرة التخاطبية وتعد "روث أموسي" " ruth amossy" و "إليشيفاروزن" "elisheva rosen" من رواد البحث في هذا النوع من الدراسة من خلال كتابهما "خطاب المستنسخ " " le discours du cliché " و في البحث العربي قدم سعيد علوش كتابه الموسوم ب "عنف المتخيل في أعمال إيميل حبيبي "1986 والذي وظف (السياق التراثي) بدل المستنسخ

وتنطلق الدراسة من إشكالية متشظية العناصر أهمها :فيما تتجلى أهمية المستنسخ ؟ وهل هو حبيس التلفظ التكراري ؟ وما الوظائف الخطابية الموكلة إليه ؟. ثم كيف يحقق أبعادا تداولية ذات انفتاحات على المنظومة الفنية والثقافية والدينية للمتلقي ؟

2. مقاربة المفهوم:

يعتبر المستنتخ من الخطابات المترددة في الدائرة الكلامية نتيجة عوامل ودواع تواصلية وتداولية. وقد تعرض معجم "لاروس" « la rousse » بالتعريف إلى هذا النـوع من الخطـــابات، على أنه "سذاجة دائمة التكرار" « banalité souvent redite »(larousse, 1980). وهو تعريف يتضمن الكثير من التحامل على هذا النوع من البناء دون الالتفات إلى ما يحمله من خصائص خطابية وأبعاد إقناعية والتي هي في أمس الحاجة إلى المراجعة والوقفة المتأنية. كما تعتبر الباحثة "روث أموسي" " Ruth Amossy" أن المعالجة العميقة للمستنسخ ستكشف، لا محالة، عن بنى عميقة ودلالات خفية تتضح جميعها من خلال رؤية تعريفية ومنهجية دقيقة." .(Amossy & ElichevaRosen, 1982, p. 19)

إن البحث في أصول المصطلح "cliché" يقودنا إلى ما شهده فن التصوير وتردد هذا المصطلح في ذاك النشاط الموكل إلى المصور وأدواته البصرية بما في ذلك المستنسخ "le cliché".ومن خلال العودة إلى معاجم اللغة الفرنسية نجد أن المستنسخ le cliché بمثابة طبقة جيلاتينية تعتمد لاستنساخ أعداد كثيرة من النماذج والصور.(robert, 1991)

ويعود ظهور هذا المصطلح بحسب ما تشير إليه المعاجم والموسوعات إلى أواخر القرن التاسع عشر نتيجة توافر الظروف الاقتصادية وإرسائها لدعائم التطور الصناعي في أوروبا، وهو ما ذهبت إليه "روث أموسي" "Ruth Amossy" من أن التطورات التي شهدها العامل

التكنولوجي عامة، والطباعي خاصة مكن من ذيوع "المستنسخ" "le cliché" لارتباطه **"بالمكننة"** (Amossy & ElichevaRosen, 1982, p. 05)،ومن ثم أصبح المستنسخ حاملا لمفهومين أولاهما إنساني بحكم ما يقدمه من خدمة فاعلة، وثانيهما نفعي نتيجة آليته الطاغية على الفضاء الاقتصادي.

3.حول نشأة المصطلح:

قد تعود تسمية المصطلح إلى فترات لاحقة في الدراسات الغربية، غير أن المفهوم شهد امتدادا يعود إلى البلاغة الإغريقية أين اكتسب، في بادئ الأمر، تسمية " konoi" "topoi" والمراد بها تلك الاستعمالات البلاغية المتداولة أو التي تشهد استعمالات واسعة لغايات اقناعية أو إيضاحية."(anneherschberg-pierrot, 1997, p. 15)

وقد حافظ المصطلح على تسميته إلى غاية عصر النهضة الأوروبية حيث ارتبطت استعمالاته بالفضائين الشعري والبلاغي كمكون إقناعي وتواصلي. وعلى الرغم من حلول عصر فكري وإبداعي جديد، إلا أن شعراء وكتاب عصر النهضة سعوا إلى محاكاة الأنموذج الإغريقي اللاتيني، بدءا بـ "فرانسيسكو بترارك" " Francisco Pétrarque"، حيث سميت تلك العبارات المتداولة بـ "Loci communs" " lieux communs" أو المواضع الموحدة،(le stéréotype : crise et transformation, 1994)و التي عرفت حضورا وامتدادا في الفترات اللاحقة من عصر النهضة ،وكيف اكتسب المصطلح تسمية مغايرة باتت تعرف بـ "le poncif" المستمد من فن الرسم، والذي يعرفه " le petit Larousse" بالرسم المثقوب والذي يوضع فوقه مسحوق ملون لأجل نقله على ورق أو قماش.

وهو تعريف يعود إلى القرن السابع عشر، إذ يبرز مدى الاهتمام بالجانب الفني السائد في أوروبا والحرص على نسخ التحف والأعمال الأصلية. وفي القرن التاسع عشر اكتسب المصطلح تسمية جديدة تعرف "بالأفكار المكتسبة" " idées reçues" مثلما أشار إلى ذلك "فولتير" "voltaire" في كتابه "رسائل فلسفية" "lettres philosophiques"، حيث اعتبره بمثابة أحكام مسبقة دون اختبار لحقيقتها."(Herschberg-pierrot, 1999)وبهذه التسمية يكون "فلوبير" "Flaubert" من السباقين إلى التعامل مع المصطلح بحسب ما جاء في معجمه الجامع لمثل تلك الأفكار وما شمله عصره من مصطلحات ذات امتدادات جمالية وإيديولوجية ونقدية.

وإذا ما تتبعنا التسميات المرادفة لمفهوم "المستنسخ" "le cliché" في الثقافة الغربية لوجدنا مسارا مفاهيميا ممثلا فيما يلي:

Les locutions figées, la doxa, le déjà vu, les présuppositions, le banal.

وهي مصطلحات شائعة في الثقافة الفرنسية، أما الفضاء اللغوي والدلالي الإنجليزي فقد وازى المصطلح المعالج بما يلي: hackneyed, phrases, fixedideas-images, commonplace

وما يمكن إيضاحه أن الحضور الفعلي لمصطلح مستنسخ ظهر في القرن العشرين بالنظر إلى التنوع المصطلحي المتعلق بالقول التكراري في معنييه اللغوي والمعنوي.

4. المستنسخ من الفضاء الإيديولوجي والفلسفي إلى الراهن الأدبي:

لم يكن مصطلح المستنسخ مقصورا على الملمح الأدبي بل كان له حضور في فضاءات أخرى مختلفة من سياسية وأيديولوجية وفلسفية، محملا بدلالات أحادية الوجهة تبرز تصورا من المنظومة القيمية المعتمدة أو المتواصل حولها.

فالمستنسخ، من هذا المنظور، يحمل مرجعا متفقا عليه في الفضاء التواصلي، على اختلاف ميادينه، كونه يحدث ردة فعل لدى متلقيه، إذ يجسد عامل المعرفة بالأمر وحتى في تفعيله le faire savoir ولهذا الغرض يعمد السياسي إلى توظيف المستنسخ عبر مساره الخطابي

مقاربا في ذلك الرؤية المعرفية لدى متلقيه، ومن ثم يتحول المستنسخ إلى عقد تواصلي يكفله المرسل ويضمن امتداده المتلقي حتى شاع ما يعرف "بلغة الخشب" la langue du bois" من فرط ترددها في خطابات السياسة على وجه الخصوص.

كما جاء المستنسخ محملا أيضا بتلك الدلالات المنفتحة على المواقف الاجتماعية والسياسية الثورية وترددها في جل الخطابات المتطلعة إلى إحداث ردود أفعـال كالأوليغارشـيا، الرجعية، التقدمية، الثورية... إلى جانب الاجتماعية المتمردة، حتى بلغ بها الأمر إلى حد التضخم نتيجة الاستعمال المفرط.

أما في المجال الأدبي، فإننا نصادف الرؤية الرومانسية الجديدة، والتي سعت إلى إنزال المستنسخ منزلة أفضل وأوسع بعيدا عما علق به من مدلولات لا تخرج عن الأداء التكراري الممل، مع الدعوة إلى محاكاة تلك النماذج الراقية وهو ما ذهب إليه الباحث "جون لويس ديفاييس" "Jeans Louis Dufays" في مؤلفه "مستنسخ وقراءة " "Stéréotype et Lecture" متطرقا إلى ما شهده هذا الأخير من تحولات دلالية لا ترتبط بالتعابير الراقية فحسب، وإنما تنفتح على كل ما هو معرفي مستجد، عد من مكتسبات لغة العصر،(Dufays, p. 57) مع ارتباط المستنسخ بالساحة الأدبية وتحوله كفاعل تواصلي يحمل الجديد في جوهره مثلما يرى "أدولف هابرر" "Adolph Haberer"، أن المستنسخ يستوجب توفر وضعية تواصلية ثنائية تقوم على الاستماع أو القراءة. وهي عملية تخلق شروط الانتظار الفعلي والرغبة في الجديد، لذا فإن أثر المستنسخ بات مرتبطا بالانتظار المحبط وبالرغبة المرعبة"(haberer, 1998, p. 193) وهي رؤية دفعت بالباحث "هابرر" "Haberer" إلى تسمية المستنسخ بـ "القلب المتكلم""le chiché –le cœur parlant".

وعلى الرغم مما أبداه "ديفاييس" "defays" من اجتهاد في موقفه من المصطلح الجديد إلا أن عواصف النقد هبت على الرؤية المسجلة في هذا الشأن محملة آراء كثيرة خطأ التعريف والمعالجة ،ساعية إلى ربط المسألة بالفضاء الأدبي دون سواه، لأن ما جاء به "ديفاييس" ينسحب على الأنظمة الأيديولوجية والسياسية، فضلا عن طرحه لموضوع الزيف أو الكذب المعالج، فكان "ريمي دو غرمون Remy De Gourman " من نقاد القرن التاسع عشر البارزين في معالجة موضوع "المستنسخ" بشكل أدق وأعمق، مفردا قسما من كتابه "جمالية اللغة الفرنسية" "Esthétique de la Langue Française" مقالا يتناول فيه المستنسخ من حيث المنشأ ثم تفعيله عبر مسارات لغوية، وكيف تتحول الصورة من أصالتها وجماليتها إلى حـد الابتـــذال، مؤكدا في الوقت نفسه، على وجوب التفريق ما بين المحاكاة وأصالة المستنسخ. (Gourmont, p. 206) فهو يرى أن المحاكاة تنزل من مكانة الكلمة أو العبارة وتفقدها بريقها كالمهتم بجمع الطيور الجميلة ليحولها إلى أشكال محنطة. ومن هذا المنطلق أبدى استيائه من أولئك الشعراء والكتاب المهتمين بالمحاكاة دون الانصراف إلى الإبداع في صورته المتعالية." (Gourmont, p. 39)

أما الباحثة "روث أموسي" "Ruth Amossy" فتعطي الموضوع اهتماما أوسع من أن "المستنسخ يكتسي أهمية بارزة، كونه لا يرتبط بما أوجدته النخبة الطلائعية، وإنما حضوره يستدعي فعل التجديد في كل من الأفكار والفنون، لأن الخاصية تتحدد في الخلق والإبداع والاختلاف."(Amossy, les idées recues, sémiologie du stéréotype, 1991)

5. المستنسخ والتكرار:

قد يأخذ المستنسخ على أساس فعل كلامي مكرر حبيس الأداء الشكلي للخطاب، غير أن حقيقة المقاربة تسقط مثل هذا الطرح، فضلا عن ممارستنا الكلامية، حيث ترى "ستيفاني أوراس" "Stephanie Orace" أن حقيقة الاستعمال والتوظيف الفعلي تتحدد في التكرار، كونه يتجلى في القول أولا وما ينفتح عليه من غايات،ثم دخوله بعد ذلك في دائرة التكرار."(Bardeche, 1985, p. 09)

وقد أولت التداولية لفعل التكرار أهمية بارزة بدءا بـ "بارلمان" "Perlman" سنة 1970 ، ثم سرعان ما توالت الدراسات في هذا المنحى، فضلا عن محاولات أخرى أرست انفتاحات جديدة للتكرار وتموقعاته داخل الخطاب، مما أوجد ما يعرف بالتناص، وكيف خرج مثل هذا الفعل الكلامي من دائرته التواصلية ليعانق أطروحات فلسفية وفنية وأسلوبية وغيرها... مما حمل العديد من الباحثين على إيلاء أهمية بارزة له على غرار"جيل دولوز" "Gilles Deleuze" وفرويد "Freud" و "جينيت" "Genette" و"ج.كريستيفا" "J. Krestiva"، حيث ترى"ماري لور بارداش" "M. Laure Bardeche" أن التكرار يحمل، ضمنيا، عدم الوفاء للملفوظ الأصلي بينما يعتبره "جيل دولوز" خرقا للقول، أو خروجا عنه.

وما يتضح من خلال هذا الطرح الوجيز، هو أن التكرار يأخذ صفة المستنسخ ليؤسس موقفا كلاميا ذا قيمة تداولية وليس إعادة للأنموذج وفق رؤية المحاكاة. فالمستنسخ (التكرار)، في هذا الموقف، بمثابة إنجاز كلامي مثقل برؤى تتضح شيئا فشيئا عبر المسار الشفوي ثم المكتوب.

6. المستنسخ لازمة كلامية ونصية:

قد يخرج المستنسخ من دائرته الكلامية الأولى باحثا عن تموقعات جديدة له، فيتحول كلازمة كلامية شفوية ونصية غالبا ما تشهد ترددا من حيث التموقع القولي أو النصي، حيث يعمل القوسان أو الشغلتان على تعيين العبارة سواء لإبراز الأهمية، أو للاستدراك أو للإيضاح، أو للفصل ما بين معنيين يحملهما المصطلح ذاته كما توضحه "روث أموسى" " Ruth Amossy." (Amossy, les idées recues, sémiologie du stéréotype, 1991, p. 77)

ويأخذ الفعل التكراري شكلا من أشكال الترقيم الشفوي حفاظا على وحدة المسار السردي مثلما سيوضحه العمل التطبيقي. فإلى جانب الغايات الأخرى كترسيخ الفكرة أو تمكين المتلقي من الحفظ والإشراك، يأتي التكرار كآلية ترقيمية تضمن هندسة إنجازية منفتحة بدورها على أبعاد تداولية أخرى.

7.من التفعيل إلى التلقي:

إن حضور المستنسخ في الفضاء التواصلي مرده المحافظة على انسجام النص، وعلى وجه الخصوص، الشفوي منه كونه محطة تمكن الباحث من الاحتكام إليها لاستجماع مخزونه المعرفي والتواصلي لانجاز مشاريعه السردية وحتى الكلامية، وما تشترطه "أ موسى" " Amossy" هو ضرورة توافر الشروط التواصلية الممكنة ما بين المرسل والمتلقي(Herschberg-pierrot, 1999, p. 74) ليتحول بعد ذلك إلى عامل بارز في الدائرة التواصلية للمجتمع عامة نحو تردد عبارة "نشا الله" أو "سيدي مرحوم الوالدين" ، فالمسألة باتت مرتبطة بمنظومة حضارية وثقافية تلامس ثقافة المتواصلين.

وما ينبغي إيضاحه هو أن تلقي مثل هذه المقولات "المستنسخات" يستوجب استحضار شروط إنجازها وخصائصها الزمانية والمكانية كوننا نجد صعوبة أثناء مقاربة مستنسخات قديمة تفتقر إلى عوامل ودوافع إنجازها، ولهذا الغرض عمل "ميخائيل ريفاتير" " Michael Raffaterne" على اعتبار مدى قابلية المتلقي وتفاعله سببا في تعيين حقيقة المستنسخ. وهو أمر يختلف بتطور الرمز اللساني وما يعكسه من ميثولوجيات وإيديولوجيات. فكلما كان مدلول رمز القارئ بعيدا عن رمز النص المتعامل معه، كلما صعب عليه معرفة النمط الأسلوبي "كمستنسخ"(Riffaterre, 1970, p. 167) وهو ما ذهب إليه "أمبرتو إيكو" "Umberto Eco" من أن "كفاءة المتلقي ليست بالضرورة كمثل المرسل."(eco, 1979, p. 64) وهكذا يتضح أن ما هو مستنسخ لدى فرد ما ليس مستنسخا لدى الآخر بالنظر إلى الفضاء المكاني والزماني.

8.حضور المستنسخ وفاعليته:

لا يتأتى لمعتمد المستنسخ في الدائرة الكلامية توظيفه وفق ما يحقق له حضورا وفاعلية إلا بحصول توافق ما بين المتخاطبين، وهو ما يمثل عقد تواصل Contrat de communication. وفي هذا الشأن من التواصل يتوجب تمكن المستمع من معرفة حقيقة المستنسخ و الفضاءات التي ينحدر منه منها إحقاقا لتواصل متوازن وفاعل، لأن ذلك "يمكن المتلقي من استحضار قدرة معرفية تساعده على إعادة بناء الخطاب والتموقع في فضاء ثقافي معلوم"(Herschberg-pierrot, 1999, p. 97) ليتضح أن المستنسخ "إنجاز جمعي، فهو حاضر دوما في المنجز الشفوي، لكنه يكتسب صفة المستنسخ فور استدعائه في المنظومة الكلامية.

9.حضور المستنسخ في المنجز السردي الشعبي:

يحفل المنجز السردي الشعبي بخصائص عديدة جعلته يحافظ على حضور وامتداد في الذاكرة الشعبيّة، لا من حيث الحفظ والتوارث فحسب ، وإنما من حيث الآليات التي يتمتع بها ، والتي أضفت على مساراته نبضا مستديما وحركية بارزة تستمد منطلقاتها من شفويته وما تتمتع به من انسيابية وإشراكها لعلامات خارج لسانيّة يستحضرها السارد كلما أغرق في الإبانة والإيضاح ، كالعلامات الوجهيّة والإشاريّة وصولا إلى تمثل الحركة والدور ، فضلا عن النبرات الصوتيّة الضامنة لتوازنات الخطاب وتكيّفه مع أوضاع السرد وتحوّلاته ، كونها علامات ترقيم شفويّة ترسم بدورها وضعيّات خطابيّة وفق رؤية سرديّة تعمد إلى " اختيار الموقف الكلامي في عملية التأثير والمتمثل في التواصل المفتوح ما بين المرسل والمتلقي من خلال توفير جميع عوامل التأثير. "(noscato & jaques wittwer, 1973, p. 75) ومن خلال عودتنا إلى منجزنا الشفوي القصصي نلحظ خطابات مستنسخة تتردد مابين الحين والآخر عبر مسارات الحكاية الشعبية أو الخرافية وحتى القصة ، كون المرسل واحدا أو يحمل القيم نفسها المترددة لدى جميع الرواة ، ولعل من أبرز ما نلاقيه أو نسمعه في منجزاتنا السردية هو خطاب :

"يمشي يمشي ..يخلي ابلاد أو يعمّر ابلاد ، أو ما يعمرها كان كريم الجواد ".

وهو خطاب كثير التردد في المسار السردي ككل ، وحتى في المشروع السردي الواحد أحيانا ، مما يعكس دلالات ظاهرة وأخرى خفيّة ،أما الظاهرة فمردّها تحوّل الخطاب المستنسخ كلازمة كلاميّة باتت شائعة يستحضرها أي سارد وفق ما يخدم رؤيته السرديّة ، لكن الأكيد في هو أن هذا الأنموذج المستنسخ لا يعد من حقيقة النسيج النصي ،كونه دخيلا على الفضاء الحكائي ككل، ليتحول كمؤثر فاعل يمكن السارد من استرجاع طاقته التكلميّة وترتيب مشاريعه السرديّة المتدفقة بحكم شفويّة الخطاب ، فيتحول المستنسخ في هذا الموقف إلى" إمداد سردي " " Apport Narratif"و يكتسب من باب التكرار منزلة كلاميّة تؤسس لوجوده ضمن المنظومة السردية ككل .

أما الخفيّ في هذا المستنسخ فيتجلّى في تلك الإحالات الهامة والمنحدرة من مشروع قيمي سرعان ما تتكشف بوادره في ثنايا السرد ، ممثلة في الاحتكام إلى القيم الدينيّة المتوارثة من أن مصير الإنسان يتقرر بقدرة ومشيئة إلهيّة ، فانعكس ذلك في المستنسخ " يخلي ابلاد أو يعمّر ابلاد...." إقرارا بحقيقة الأمر ، والعمل على تمريره وغرسه في ذهن المستمع .

10.حول تداولية المستنسخ:

يسعى البحث التداولي إلى إرساء مفاهيم جديدة للفعل الكلامي ، معتبرا الملفوظات أفعالا ، والقول في هذا الإطار هو نقل أخبار ذات صلة بموضوع الحديث ، بيد أن القول في الوقت نفسه ، يحمل دلالة الفعل ، حيث يمارس المرسل تأثيرا على المرسل إليه بدل المعارضة . كما أنّ فكرة التأثير ليست حديثة الولادة ، بل " تمتد جذورها إلى المفاهيم التي أرسى دعائمها كل من أفلاطون وسقراط أصبحت تعرف فيما بعد بالتداوليّة ." (Austin, 1970, p. 41)وطالما أنّ المنجز السردي الشفوي ينطوي على الصفة الكلاميّة فإنّ أبعاده من خلال

ALTRALANG Journal
Volume 7 Issue 1 / December 2025

مستنسخاته تتجاوز فعل الإمتاع والإثارة لتتعداها إلى كل ما هو فعل تلفظي يفي بالغاية الكلاميّة ، حيث إنّ الاستعانة بالمستنسخ المشار إليه بعكس في بادئ الأمر ، كفاءة قوليّة وعمليّة تبدأ بفعل التوظيف وتنفتح على المعرفة الأدائيّة المتمثلة في التحكم في آليات القول ، لأنّ كل ملفوظ يتضمن معنى ومرجعا ذا أبعاد كلاميّة تفيد تأكيدا أو وعدا أو أمرا ، مما ينتج تأثيرا في ذاتية المستمع ، ومن ثم فإنّ العمليّة التخاطبيّة "Perlocutionnaire"تخضع بدورها إلى الحالات الكلاميّة مستدعية ، في الوقت نفسه ، آليات سيكولوجيّة خارج لسانيّة .

إنّ اعتماد السارد للمستنسخ " **يخلي ابلاد ويعمّر ابلاد....** بمثابة عمل تبادلي خفي تتجلى حقيقته في نقل كل من ثقة الأنا الساردة وتسليمها المطلق بالإحاطة الربانيّة من دائرة الأنا المتكلمة إلى "الأنت " المستمعة ، ومن ثم يتضح أنّ السارد لم يمرر فعلا إخباريا بل واكبته أفعال التوكيد والتقرير والتوجيه ،ذلك أنّ الإنجاز الناجح للفعل التوجيهي ، وبحسب مفهوم" فاندرفيكن""Vanderviken" ليس مسألة ترميز ، وإنما فك لهذا الترميز (Vandeviken, p. 21)

إن تردد المستنسخ لا يقتصر على تجسيد آلية التكرار، بل هو نتاج مشافهة وركن بارز من استراتيجيتها كونها " الصنف الممثل للملفوظات المنجزة من خلال التمفصلات الشفوية الجديرة بالاستماع" (peytard, 1970, p. 35).وتكاد ترتبط المستنسخات بفعل المشافهة كونها تتحقق وفق التلفّظ الحريص على تحوّل المشروع الكامن في ذهن المتكلم إلى مستمعه ، حيث نجد أنفسنا أمام فلسفة كلاميّة على الرغم من بساطتها فإنها توحي بتوارث الخطاب الفني وسياقاته الثقافيّة والاجتماعيّة والإيديولوجية ، ليصبح المستنسخ ناقلا ومفعّلا للخطاب ، لا مجرّد علامة ترقيم شفويّة .أو محطّة من محّطات استراحة المتكلم وتزوّده بالآتي من السرد .

ولعلّ قراءتنا المتأنيّة للمستنسخ تجعلنا نتوقف عند علاماته الرئيسة الفاعلة ، والأخرى المسندة المساعدة .فمن تلك الرئيسة " يخلي ، يعمر، الكريم ، الجواد" .وما بين ثنائيتي يخلي ويعمر تتجلى حقيقة الحياة من استحالتها ، إذ لا تعرف حقيقة النقيض إلا من نقيضه .ومن ثم تتوسع مدارك الإنسان حول الكون وخباياه التي تتحدد لدى الذات الإلهية ، لتتحقق لنا أفعال كل من المعرفة Le faire savoir، وفعل الاعتقاد Le faire croireوتبني القعل Le faire faire ، وهو إيمان كل من المتكلم والمستمع بما تم تبادله من كلام ينطلق من الفعل الإخباري وينتهي إلى كل من التوكيد ممثلا في "ما " وكذلك التقرير أو التسليم إذ يحدث ذلك انطلاقا من "مجموع العمليات المساعدة على دمج الملفوظ في وضعه التلفّظي ، لأنّ حضور شخصية المتكلم تتضح من خلال فعل التلفّظ "(Maingueneau, 2000, p. 18)

" أوهوما ر اقدين أورّبي ما هو ر اقد "

وهو من المستنسخات المترددة في حكاياتنا الشعبيّة والملازمة للشفوية ، ليتحوّل عبر فعل التلفّظ مشروعا فاعلا على الرغم من انحداره من فضاء خارج نصّي ، كونه من ابتداع الـــراوي ، ومن هنا نلمس تلك الانفتاحيات البارزة للخطاب الرئيس على محيطه الاجتماعي والثقافي وحتى الإيديولوجي .

وطالما أنّ الراوي مشدود إلى الفضاءات عبر عقد الحضور والتفاعل، فقد جاءت شفويته مثقلة بخطابات خارج نصيّة سرعان ما تشق طريقها إلى الانسجام مع النسيج النصي الرئيس ، تأكيدا على حركيّة الفعل الشفوي كونه: " قوة كلامية تسيرها قواعد وأنظمة ذات علاقة بالمتخاطبين ... وكونها حسّاسة في الخطاب الكلامي... " (Francis, 1973, p. 68) ومن ثم يحدث نوع من التشاكل النصّي دون الإخلال بروح الخطاب المحملة بإرث تواصلي يترجم مرجعيّة أراد لها الراوي حضورا على الرغم ما يشهده النص من تواتر عبر العديد من الأجيال .

وإذا كان فعل المشافهة يتمتع بقدرة إنجازيّة تحرص على عرض الحكاية عبر مساراتها السردية وما تحفل به مشاريعها من علامات غير شفوية من حركات وإشارات فضلا عن علامات وجهيّة تواكب المتن اللّساني، ليصبح فعل الأداء مركبا مثلما يشير إليه " بول زيمثور" "

Paul Zumthor " من أنه " لا يستقيم أمر الشفوية إلا داخل فضائها الاجتماعي والثقافي ، مما يسمح بإدخال عناصر أخرى لأجل تشكيل شعرية الشفويّة " (Zumthor, 1983, p. 40)

ومن خلال مراجعتنا للأفعال التداولية التي حققها المستنسخ نلمس أنه مارس فعلا تعريفيّا faire croire منفتحا على رؤية دينية ترجع الأمر كله لله ، دعاية إلى وجوب التدبّر في حقيقة الخالق الذي لا ينام ليرتسم فعل آخر يعمل على الاعتقاد faire croire .

وإذا ما غادرنا فضائي التعريف والاعتقاد، نقف عند ما يعرف بالممارسة الكلاميّة وما انتهجه صاحبها من تقنيات تحمس المستمع على المتابعة ولا تجعله يشعر باهتزازات خطابيّة ، حيث يخرج المستنسخ مجدّدا عن دائرة التكرار المألوف راسما وظائف مغايرة بدءا من الخاصية التواصلية المتماهية مع علامات ترقيم شفوية كوضعية المستنسخ الراسمة لشكل من أشكال التوقف الفنّي ، كون الشفوية " لا تعمل إلا داخل مجموعة اجتماعية ثقافية محددة (.....) ولأجل اندماجها في الضمير الثقافي للمجموعة، فعلى الرسالة أخذ مرجعيتها من الضمير الجمعي ." (Zumthor، 1983، صفحة 41)

فالمستنسخ عتبة تواصليّة شفوية تتموقعكتمفصل كلامي مابين المشاريع السردية البارزة، ومن أبرز ما نلمسه في دائرتنا التخاطبية الشفوية مستنسخ "هيه آسيدي مرحوم الوالدين" حيث تتردد هذه العبارة عند نهاية كل منجز كلامي ودعوة المستمع إلى الاستعداد لما سيرد من جديد القول ، ليشكل المستنسخ علامة انغلاق وانفتاح ما بين المشاريع الكلامية والسردية ، فضلا عن خاصية التنبيه والإثارة وفق ما تبرزه لفظة "هيه".

و أما عبارة "سيدي مرحوم الوالدين" فإشارة صريحة إلى ضرورة الإقبال على تتبع ما سيسرد من أقوال ، لأن الامتثال إلى ذلك سيكون دعاء خفيا بالرحمة لروح الوالدين ، وكأن بموظف هذه العبارة يدرك تمام الإدراك أهمية ومكانة الوالدين ، لذا آثر توظيف المستنسخ كخطاب موازي "paratexte" للخطاب الرئيسي ،texte principale " ،بعيدا عن تلك التعابير الجاهزة والمملة ، لان هذا المستنسخ باتت له تعالقات بالفضاء الديني والاجتماعي والثقافي . وما توظيفه سوى ربط الصلة ما بين المتخاطبين، فضلا عن حضوره في الشفوية كعلامة ترقيم توحي بالتوقف ومراجعة ترتيب السلسلة الكلامية ، تأكيدا على أن المسألة أبعد ما يرى على أن المستنسخ حبيس التكرار دون سواه .

خاتمة:

لذا، يتضح أن المستنسخ يتمرد على الدائرة الكلامية المألوفة، كونه ينهل من منظومة متعددة المشارب، حيث يتقاطع فيها والثقافي والنفسي والإيديولوجي لأن المستنسخ بات لازمة خطابية تختزل المسافات السردية وتخفي أبعادا تتعلق بمنظومة حاول السارد تفعيلها أثناء تواصله بدءاً بالملمح الفني المتعلق بجمالية التوظيف سردا واسترجاعا، فضلا عما يعكسه المستنسخ من دلالات في غاية الأهمية ترتبط بمحيط المتكلم الاجتماعي تارة، وبما يتضمنه من خطابات موازية تتضح عبر انفتاحاته.

كما يسهم المستنسخ في إثراء العملية التواصلية والإبداعية كونه لازمة كلامية ذات بعد تعبيري وفني ،حيث يرد كخطاب موازي paratexte للمخاطب الرئيس ، ينفتح عليه وفق علاقة اتصال « relation de conjonction أو انفصال relation de disjonction ، مع فسح مجال للمتلقي لأجل تلمس خبايا المعادلة الكلامية التي لا تعتمد الإيضاح المطلق في غالب الأحيان طالما أن المستنسخ مستمد من دائرة المتخاطبين ، لكنه مثقل بدلالات ظاهرة وأخرى خفية تنهل من منظومتها الثقافية والفكرية و الدينية و حتى الإيديولوجية .

فالمستنسخ ، و من هذا المنظور بات لازمة كلامية شفوية ، لا تعكس توظيفا آليا و مفرغا ، بقدر ما تستحضر إرثا قيما يرسي شكلا من أشكال التواصل عبر أجيال وأجيال ، محتكما إلى أدبية كلامية تنهل من إرث شعبي ذي تمظهرات متنوعة ، حيث يتردد المستنسخ الشعبي في الألغاز والأمثال والأغاني تأكيدا على فاعليته في استقطاب المتلقي وربطه بفضائه و موروثه.

قائمة المراجع:

- Amossy, R. (1991). *Les idées reçues : Sémiologie du stéréotype*. Nathan.
- Amossy, R., & Hershberg-Pierrot, A. (1997). *Stéréotypes et clichés : Langue, discours, société*. Nathan.
- Amossy, R., & Rosen, E. (1982). *Les discours du cliché*. CDU.
- Amossy, R., & Rosen, E. (n.d.). *Les discours du cliché*.
- Austin, J. L. (1970). *Quand dire, c'est faire*. Seuil.
- Bardeche, S. L. (1985). *Le principe de répétition : Littérature et modernité*. L'Harmattan.
- Dufays, J.-L. (n.d.). *Stéréotype et lecture*.
- Eco, U. (1979). *Lector in fabula : Le rôle du lecteur ou la coopération interprétative dans les textes narratifs* (M. Bouzaher, Trans.). Grasset & Fasquelle.
- Francis, J. (1973). La mise en communication de l'énonciation. *Langage*, (70).
- Goulet, A. (Ed.). (1994). *Le stéréotype : Crise et transformation* (Proceedings of the Cerisy-la-Salle conference). Presses Universitaires.
- Gourmont, R. de. (n.d.). *Esthétique de la langue française*.
- Haberer, A. (1998). Stéréotype et lecture. In *Cliché*.
- Langue française. (1970). *Oral et scriptural : Deux ordres de situation et de description linguistique*.
- Maingueneau, D. (2000). *Analyser les textes de communication*. Nathan.
- Noscato, M., & Witter, J. (1973). *La psychologie du langage* (1st ed.). Presses Universitaires de France.
- Petit Larousse. (1980). *Petit Larousse*. Librairie Larousse.
- Petit Robert. (1991). Cliché. In *Le Petit Robert*.
- Riffaterre, M. (1970). *Essais de stylistique structurale*. Flammarion.
- Vander Viken, D. (n.d.). *Les actes de discours*. Pierre Mardaga.
- Zumthor, P. (1983). *Introduction à la poésie orale*. Seuil.